الملتقى الدولي الأول حول التراث المعماري والعمراني – الرهانات السياحية والتحديات الاجتماعية الثقافية / يومي 06/06 ماي 2024 ، مخبر الطفل ، المدينة والبيئة – جامعة باتنة 2024

عنوان البحث

المسكن تراث أثري من فترة ما قبل التاريخ إلى الفترة الإسلامية ودوره في السياحة.

الطاهر فيصل[1]*

[1] جامعة أمين العقال الحاج موسى أق أخاموك - تامنغست - ولاية تامنغست،

fissaltahar@univ- tam.dz

مخبر الموروث العلمي والثقافي لمنطقة تامنغست.

ملخص:

الهدف من هذه الدراسة هو إبراز الجانب المعماري والعمراني البسيط الذي إستقرت فيه الجمعات البشرية الأولى منذ فترة ما قبل التاريخ، إلى الفترة الإسلامية حيث لم يولي الإنسان في بداياته الأولى إهتماما كبيرا لنمط معماري أو تراثي معين، بقدر ما كان يبحث عن حيز يؤويه من الطبيعة، وكذا بعض العوامل الأخرى، ومع مرور الزمن أصبح لهذا الإنسان حضارة ابدع وتفنن في تشيدها بأنماط متباينة من حيث الطراز، الشكل، الصلابة والمتانة، بالإضافة الى كل ذلك مراعاته للمحيط الذي يوفر له متطلباته من مشرب ومأكل ومواد أولية، وما نلاحظه في بعض القرى السياحية النموذجية إنما هو عملية إستقراء لمسكن الإنسان الأول مع إضافة تعديلات طفيفة أحيانا، كالمسة من اللمسات العصرية الحديثة، لإبراز تصميم هندسي يجمع ما بين الأصالة والتراث والحداثة، التي تعطينا أشكال متباينة تراعى فيها خصوصيات المناطق الصحراوية.

سنحاول في هذا المقال التعريف بفترة ما قبل التاريخ، وكذا الفترة الإسلامية، بمنطقة الهقار والتيديكلت الغربية، والنمط المعماري والعمراني السائد بالمنطقتين.

كلمات مفتاحية:

مسكن؛ تراث؛ سياحة؛ نمط معماري؛ نمط عمراني.

الطاهر فيصل: fissaltahar@univ-tam.dz

Abstract :

The aim of this study is to highlight the simple architectural and urban aspect where human communities settled from prehistoric times to the Islamic period. During its early stages, humanity did not pay much attention to a specific architectural or heritage style; rather, they sought shelter from nature and other factors. Over time, humans developed civilizations that excelled in constructing various styles in terms of design, shape, solidity, and durability. Additionally, they considered the environment, which provided their needs for food, water, and raw materials. What we observe in some exemplary tourist villages is essentially a process of extrapolating the dwelling of early humans with occasional minor modifications, such as a touch of modernity, to showcase a architectural design that combines authenticity, heritage, and modernity, providing us with diverse forms that respect the characteristics of desert regions.

In this article, we will attempt to define the prehistoric period as well as the Islamic period in the regions of Al-Haqqar and Tidikelt in western Algeria, and the prevailing architectural and urban style in these areas.

Keywords:

Residence; Heritage; Tourism; Architectural; style Urban style.

1- مقدمة:

يعتبر المسكن أساس من الأسس التي تبنى وتأسس فيها النواة الأولى للأسرة، وهذا ما إنطبق أيضا على الإنسان الأول في فترة ما قبل التاريخ، فمنذ آلاف السنين لجأ الإنسان لإختيار مأوى يسكن فيه يتكيف هذا المسكن مع ظروفه المتاحة ومع نشطاته المختلفة التي كان يقوم بها، من صناعات أدوات حجرية، ومن رسومات ونقوش صخرية، وصولا إلى الصناعة العظمية، وصناعة الفخار، وهذا ما تم من فترة العصر الحجري القديم الأسفل إلى فترة العصر الحجري الحديث، وما بين هذه الفترات تخللته صناعات إبداعية نتجت عن

تفكير الإنسان الأول لضرورة تنظيم حياته ونشطاته اليومية المتنوعة والمختلفة، فنتج عن هذا التفكير حتمية المسكن.

الذي بدأت أولى بوادره تظهر خلال تلك الفترات الأولى السابقة، بتصميم بسيط تطور تدريجيا مع تعاقب الفترات، وظل في التطور إلى الفترة الإسلامية، التي ظهرت فيها أنماط أخرى متباينة، من حيث الطراز الإسلامي، والتخطيط الهندسي، وإستعمال الحليات الزخرفية، ومراعاة مقولة " لا ضرر ولاضرار" وهي قاعدة فقهية عمرانية، تقتضي إحترام الجار وخصوصية الجوار، وهوما نص عليه الكتاب والسنة.

وبالرغم من إنعدام الكاتبة والتدوين في فترة ما قبل التاريخ، إلا أننا إستطعنا أن نستقرأ مسكن الإنسان الأول، من خلال شواهد مادية أخرى إعتمدنا عليها تتمثل في الأثار والمخلفات الأثرية المتمثلة في المواقد والأفران النارية والرماد، والعظام التي تغذى عليها، بالإضافة إلى الشواهد المرسومة والمنقوشة، التي خلفها على الصخور مجسدة داخل المغارات والكهوف والملاجئ الصخرية، أعطتنا صورة وفكرة عن نوعية المسكن الذي إستقر فيه.

ومن خلال ذلك إستطاع الباحثون القيام بإعادة تشكيل وتصور شكل المسكن في فترة ما قبل التاريخ، في العديد من المواقع الأثرية منها شمال إفريقيا، وهذا ما سنحاول أن نسلط الضوء عليه كرونولوجيا في هذه المداخلة بالتفصيل.

2- مفهوم فترتي ما قبل التاريخ والفترة الإسلامية:

2-1- فترة ما قبل التاريخ:

أجمع الباحثين على إطلاق لفظ ما قبل التاريخ على الفترة التي سبقت ظهور الكتابة، أي السابق لبدء تسجيل الإنسان لأعماله وأرائه في سجلات مكتوبة، سواء كانت نقشا على الحجر أو البردي ... فمنذ ذلك الحين تركت لتلك السجلات مهمة رواية قصة الإنسان، أما قبل هذا ففترة ما قبل التاريخ فترة طويلة من الزمن لا نملك عليها أدلة سوى ما وجد مرسوما أو منقوشا على الصخور، والواجهات الصخرية، وداخل الملاجئ الصخرية والكهوف، وهذه الشواهد تبقى أكثر إفصاحا من الدلائل المكتوبة لدى الباحثين، كونها لم تتعرض للتزييف الذي عادة ما يلجأ إليه الإنسان في تدوين الأحداث وفي كتابة التاريخ. (غلاب و الجوهري، الجغرافيا التاريخية عصر ما قبل التاريخ، 1975)

ومن خلال ما أشرنا إليه سابقا يمكن تعريف فترة ما قبل التاريخ، بأنه ذلك العلم الذي يبحث في أصول وتطور حضارات الإنسان قبل معرفة الكتابة، حيث تتمثل مخلفاته الحضارية في بقايا أثرية كالأدوات الحجرية والعظمية والرسومات، والنقوش الجدارية، ودراسة هذه المخلفات تسمح لنا بإعادة تصوير وتصميم الحياة اليومية لمجتمعات ما قبل التاريخ في بيئة وزمن معين. (سحنوني، ما قبل التاريخ، 1999)

2-2- الفترة الإسلامية:

تعرف بأنها تلك الفترة التي بدأت منذ ظهور الإسلام إلى نهاية أو سقوط الخلافة العثمانية، حيث خلفت هذه الفترة آثار ثابتة، وآثار منقولة، تمثلت الآثار الثابتة في المدن والدور، والقصور والمساجد، والأضرحة والزوايا، والمقابر وغيرها من الآثار، أما المنقولة تمثلت في المسكوكات والمخطوطات والحلي والأواني الفخارية، والمعدنية وغيرها. (الخير، الآثار والمعالم من خلال المصادر الإسلامية، 2017)

3- المسكن في مرحلة ما قبل التاريخ من خلال الرسومات الصخرية:

عثر في شمال إفرقيا على آثار المسكن ترجع إلى فترة العصر الحجري القديم الأسفل بكل من مواقع عين الحنش بسطيف، وموقع نقاوس بباتنة، حيث تم العثور على بقايا مرتبة على شكل صفوف، توحي لعملية تبليط الأرضية لتثبيت التربة المبللة بسبب سيلان المياه. (جوهر، د.س)

إستغل الإنسان هذه المناطق خلال العصر الحجري القديم المتأخر الملاجئ الصخرية والمغارات، في العديد من المناطق منها الساحلية والشرقية وأيضا في مناطق الجنوب خاصة ببرج ملالة بورقلة، ومواقع بالأهقار منها تيمسكيس، والتفدست وموقع منيت وأمكني، حيث تم العثور داخل تلك الملاجئ الصخرية والمغارات على فضاءات تم تقسيمها لكل فضاء وظيفة معينة، ومثل ذلك ما عثر عليه داخل تلك الفضاءات وجدت بعضها مخصص كورشة لتقصيب الأدوات الحجرية التي كان يستخدمها في الممارسات اليومية كالصيد، ومساحة أخرى كان يستغلها للرعي، وأخرى كان يقوم بتخزين الطعام بداخلها، ومساحة إستخدمها للطهي من خلال تلك المواقد النارية التي تم العثور عليها. (G, 1994)

أما بالصحراء فقد عرف المسكن بمواقع كثيرة منها موقع تين هنكاتين الذي تم العثور فيه على آثار مختلفة من مواقد وآثار وبقايا عظمية وصناعية، أيضا تم العثور على تهيئة

حجرية بداخل ملجئ صخري محاطة بها حجارة على شكل جدار خارجي، مما يحوي ذلك على تعمير وإستقرار بشري بالملجأ منذ الألف العاشرة. (G A. , 1994, 2003)

أما بالنسبة لمنطقة الأهقار فلا نجد إختلافا كثيرا من حيث المعطيات والشواهد الدالة على المسكن في فترة ما قبل التاريخ، (G C. , 1969)

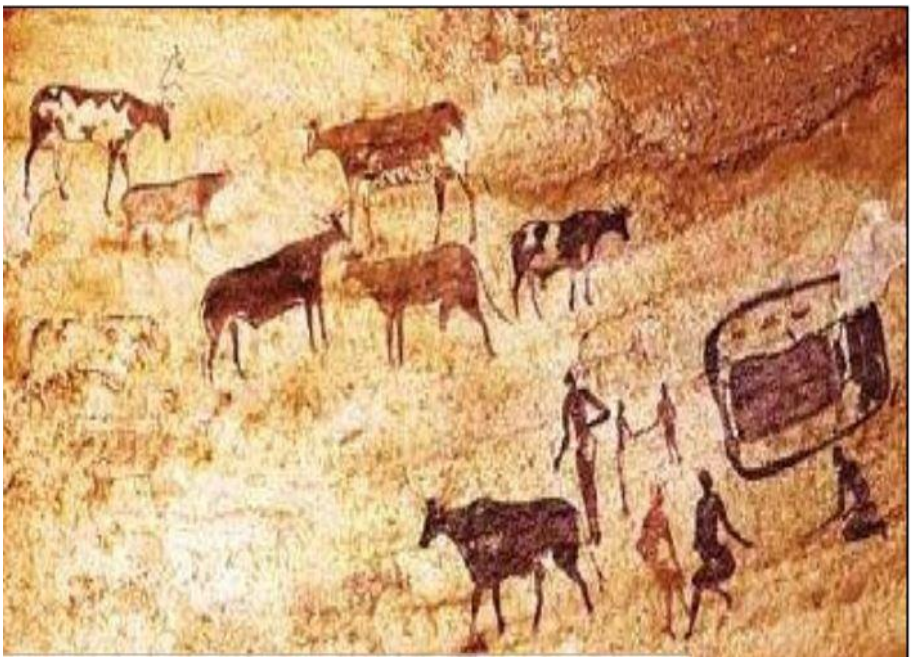

صورة رقم1: مشهد يمثل عائلة بالقرب من بيتها وحولها قطيع من البقر.

المصدر: نادية يفصح جامعة الجزائر2.

فمن خلال هذه الصورة التي تجسد لنا مشهد المسكن في ما قبل التاريخ، وبساطته بالإضافة إلى الحياة الاجتماعية للإنسان الصحراوي ومعيشته، وتفصيل حول حياته اليومية، مثل ما هو مبين في الصورة عائلة أمام بيتها يتبادل أفرادها أطراف الحديث، وحولهم قطيع من البقر، مما يدل أيضا على أن الإنسان منذ الفترات الأولى أولى أهمية بالغة لتربية الحيوانات وتدجينها، من خلال عملية الإستئناس مما جعله يخصص لها مساحة داخل مسكنه، في الوهلة الأولى، ثم مع تطور مراحل العصر الحجري الحديث، أصبح يقوم ببناء مناطق خاصة يربي فيها الحيوانات.

وهذا ما نلاحظه في المناطق الجنوبية، ولا يزال إلى اليوم فيه غائلات تربي الحيوانات داخل منازلها من خلال تخصيص غرفة، ومنهم من يقوم بعملية تربيتها في مكان منفصل عن البيت، وهذا كله يعتبر إستقراء للإنسان الأول. (يفصح، 2018)

تم إحصاء حوالي 32 تمثيلا للمسكن بمحطات بتاسيلي ناميدير، تتنوع أنماطها مابين الدائرية شبه مغلقة إلى نصف دائرية، تسمح وضعية الأشخاص الممثلين داخله بإحداث مقارنة بأنماط المسكن إبان العصور التاريخية القديمة بالصحراء، إلى جانب تمثيلات من لأثاث من الأواني في محطة وادي تيمسكيس، وأثاث من الأوتاد والأقواس، (إيباه، 2022/2021، الصفحات 689-691)

صورة رقم2: نموذج مسكن عبارة عن تهيئة حجرية.

المصدر: الطالب فيصل الطاهر.

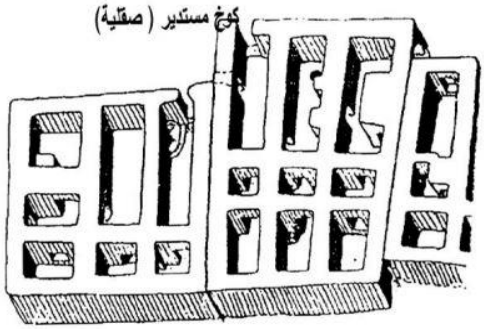

صورة رقم 3: نموذج من أنواع المسكن في العصر الحجري الحديث.

المصدر: G . Campos ,

من خلال ما تم ذكره وعرضه نلخص أنواع المسكن في فترة ما قبل التاريخ إلى:

- مسكن الزربية أو الكوخ الأسطواني ذو السقف المخروطي.
- مسكن على شكل خيمة من الجلد: ويستخدم هذا النوع من المسكن توارق الهوقار وآزجر الرحل.
- مسكن هندسي الشكل رباعي الأضلع شبه مستطيل
- الأكواخ الدائرية.
- مسكن على هيئة أشكال نصف دائرية.

المرحلة الفنية	نوع المسكن	محتوياته	الموقع	الشكل
البقرية	بيضاوي+مستطيل دائري+ شبه بيضاوي	اغراض يومية+أشخاص	صفار جبران ،إن إتنان ،إن التوهامي	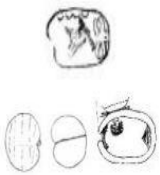
الحصانية	دائري +مربع	أغراض يومية أشخاص تخطيطية	وانابنهور، تونيك، تين تنفي	
الجمالية	مربع+ دائري	أغراض جديدة ذات شراشيف ،كتابة أشخاص تخطيطية	وانبندر ،إن التوهامي	

صورة رقم 4: جدول يبن أشكال المسكن من خلال الفن الصخري.

المصدر: أوبراهم جوهر جامعة الجزائر2

4- المسكن في الفترة الإسلامية:

تتداول أو تعرف عن عامة الناس كلمتان تحددان معنى المسكن، وهما " دار وبيت"، ويبدوا في الأصل أن الكلمتان تختلفان في المعنى، حيث أن كلمة "دار" مشتقة من دارة أي الشيء المحاط بمعنى حيز مكاني محاط بجدران، ويقصد بها أيضا مأوى من المباني والخيام، حيث تكون في بناءها بجنب بعضها البعض في شكل دائري. (سويدي، 1986، صفحة 217) أما كلمة "البيت" فتعني المسكن أو الملجأ المغطى الذي يستطيع فيه الشخص قضاء الليل، والبيت في معناه العام هو كل مسكن حضري من حجر أو آجر أو خشب، وكل خيمة بداوية من جلد أو صوف أو وبر، للإنسان والحيوان وسائر المخلوقات قال تعالى:

﴿وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون﴾ (الكريم، صفحة آية 68)

وقال تعالى:﴿ وَ اللهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حين ﴾ (الكريم، سورة النحل، صفحة الآية 80)

حيث تعتبر الفترة الإسلامية من بين أهم الفترات الغنية بالتراث المعماري بمختلف أنواعه، خاصة في المناطق الصحراوية لما تحتويه من معالم تاريخية وحضارية، فعرف المسكن في الفترة الإسلامية نقلة نوعية وفريدة عن ما كانت عليه في فترة ما قبل التاريخ، ميزها الطابع الإسلامي الذي أعطاها جمليه الشكل الهندسي والشكل المعماري من خلال التوع في الطراز لكل عمارة (الدينية، المدنية، العسكرية).

1-4 التركيب المعماري للمسكن التقليدي:

تعتبر العمارة ظاهرة اجتماعية، حيث يوجد عاملان أساسيان في تكوينها هما: متطلبات الجماعة المنظمة وإرادة الصانع، فالعمارة رمز اجتماعي و لفهم الرمز يتطلب منا فهم التفاعل، ذلك إن العملية التصميمية للمعماري هي نتاج احتياجات وظيفية ومبادئ جمالية ومعاني رمزية واجتماعية معينة، وبالتالي فالفعاليات الحياتية و الممارسات الاجتماعية تبقى خلفية أساسية لتلك الصورة المادية للعملية التصميمية، كما أن للطبيعة الجيولوجية و الجغرافية دور كبير في بلورة الفكر المعماري، وهذا ما يكشف عن الأهمية التي يعلقها سكان تيديكلت في تشييد مساكنهم على الأمن والسلامة النفسية والصحية و التأقلم مع الظروف المناخية من جهة، من حيث التخطيط العام، وتوزيع الوحدات. ولضمان متانة وإستقرار أجزاء بناياته من جهة ثانية، فجاءت عمائره ثقيلة متينة مكونة أساسا من الطين. (نظير, 1999, עמ' ص 148)

و بما أن المسكن احد أهم الأوجه الثقافية والحضارية المعبرة عن الأسرة والمجتمع في إن واحد وهو الخلية الأساسية التي يقوم عليها العمران في القصر الصحراوي و هو محور تنظيمه ونموه فهو يحتل المقام الأول من حيث الأهمية بالنسبة لاحتياجات الفرد لأنه يعبر عن المأوى الذي يضمن له الأمن والاستقرار والملاذ ويكفل له التفاعل المستمر، وعلى هذا الأساس تترك

لصاحبه الحرية المطلقة في الاختيار عند إنشائه حسب ما تستوجبه رغبته وإمكاناته ومتطلباته.

فلقد مثلت الخطط السكنية عنصراً مميزاً للاجتماع البشري بتيديكلت فإتسمت بالبساطة كونها صممت خصيصاً لغرض المعيشة ولتحافظ على العادات والتقاليد الاجتماعية المتعارف عليها بين أهالي المنطقة. فقد إشتمل المسكن على ثلاثة أجنحة في العادة، جناح للسكنى وآخر للخزن وثالث لدورة المياه والماشية[†]

ويتولى الصانع الماهر في البناء ذلك ويدعى "لَمْعَلَّمْ" -لمكانته- بداية من إختطاط الأرضية المخصصة للبناء الى التوزيع الداخلي للوحدات المعمارية الى غاية اللمسات الأخيرة. (بالعالم، 2005، صفحة 283)

ويتكون المسكن من ما يلي:

الواجهة: الواجهة الأمامية للمسكن بسيطة لا توجد بها زخارف مميزة وهي خشنة كما بنيت أول مرة ولم تلبس، إلا ما جاء منها عفويا كآثار أصابع الأيدي أثناء عملية البناء و التقليد الشائع الإستعمال و هو تأطير مدخل المسكن بطنف بارز يحدد المدخل.

أنظر الصورة رقم 05.

كما لانلمس أثرا للنوافذ إلاّ كوة صغيرة نفوذة بجانب المدخل الرئيسي للمسكن يتم من خلالها غلق و فتح الباب تسمى "آفكر"، وقد حددت بفم قلة فخارية غالبا.

أنظر الصورة رقم 06.

يتم غلق و فتح الباب بواسطة آلة تقليدية مصنوعة من الخشب تسمي "آفكر" و هي عبارة عن لسان يمرر داخل ثقب في عرض الجدار من الداخل فيكون الباب مقفلا حينها و ينزع عند فتح الباب. أنظر الصورة رقم 07.

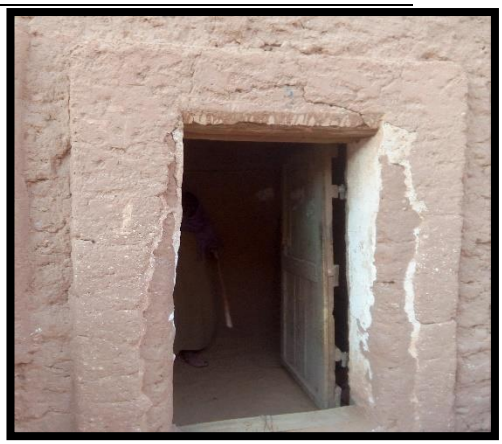

الصورة(5):كوة لفتح الباب.

الصورة(6):كوة لفتح الباب

الصورة(7):آفكر لقفل الباب. المصدر: عدسة الطالب ياسين

وفي الجزء العلوي من الواجهة وعلى مستوى السطح نجد فتحتين نفوذ تين متباعدتين نسبياً استخدمتا كميازيب أو ما يعرف بـ"القواديس" للتخلص من مياه الأمطار الفجائية التي تعرفها المنطقة، كما نجد فتحة صغيرة أخرى تعلوا المدخل في الجزء العلوي من الواجهة وظيفتها أن المرأة تتعرف من خلالها على الطارق الذي يكون بالباب قبل أن تفتح له ،كما نجد

بهذه الواجهة أيضا ريازة مكونة من دعامات - تتخذ أشكالا هندسية متعددة على طول الجدار يستند إليهما الجدار ويصطلح عليهما محليا بـ"أتيباق" غالبا ما تتخذ شكل نصف هرمي يضيق كلما اتجهنا نحو الأعلى وهي تزيد من متانة الجدار.

ويفتح في الواجهة بابين أحدهما هو المدخل الرئيسي للبيت ويعرف بـ"فم الدار"، والآخر مدخل لغرفة الضيوف ويعرف محلياً بـ"سواري الضيافين"، حيث أن عرض المدخلين لا يتعدى 80سم و إرتفاعه لا يزيد عن 1,76م.

العتبة: أول عنصر نجده عند مدخل المسكن هو "العتبة" وهي عبارة عن ارتفاع على مستوى الأرض لا يتعدى 30سم، تسمى بـ"عتبة الزقاق" مهمتها فصل داخل البيت عن الخارج، كما تقف حاجزاً أمام دخول الحشرات و الزواحف السامة كالعقارب التي تنتشر بالمنطقة، كما تمنع دخول أتربة الزوابع الرملية التي تنشط بكثرة لذا جُعلت العتبة لتسد الفراغ الذي يكون تحت الباب. (الصالح, لامّ' 412)

السقيفة: نلج من المدخل إلى السقيفة والتي يطلق عليها السكان المحليين "سقيفة الباب"وهي تأخذ شكلاً مستطيلاً نسبياً وهي تؤدي دور الباشورة فهي تشكل مدخل منكسرcoudé entrreé والذي يعد عنصراً رئيسياً في البيت الإسلامي ونادرا ما يغيب، وهذا الإزورار يعمل على حجب وسط الدار عن الداخل للبيت وفي إحدى جدران السقيفة يفتح باب يؤدي إلى عنصر مهم في العمارة الإسلامية.

الفناء: وهو رواق واسع بعض الشيء حيث يعمل كمخزن للبرودة في فترة الظهيرة لاستطالته فهو مكان لاجتماع أهل البيت للأكل والأنس، وينتهي في آخر إستطالته بانعطاف يقتصر استعماله على الأبوين دون غيرهم وهو ما يعرف بـ"الرُّكْنَة".

المطبخ: يفتح بابه غالبا على الفناء أو صحن المسكن، كما تشكل في جدرانه خزانة جدارية - بإستغلال سمك الجدران- بها رفوف لوضع أواني الطبخ، و يخصص في إحدى أركانه مكان لإشعال الحطب تسمي "بلاصة النار" مزودة بأداة حديدية يصطلح عليها "لَمْنَاصَبْ" وهذا المكان مخصص لطهي الطعام وتمارس المرأة في المطبخ بعض النشطات في فترة سطوع الشمس الحارة خصوصا في فصل الصيف.

المخزن: لا يخلوا مسكن في قصور تيديكلت من مخزن و غالبا ما يكون بجانب المطبخ و هو عبارة عن مساحة صغيرة تخزن فيها المئونة التي تستغل في الطبخ، و تكون به عُلّيَا

(مصـــاطب). تبنى بالطوب و تســـتعمل كطاولات فهي ترتفع عن الأرض توضـــع فوقها المؤن لتكون بعيدة عن الحشرات و الفئران.

الغرف: تفتح أبواب الغرف في الفناء او على صحن المسكن و تعرف بـــ"أَسْوَارِيْ الدَّخْلاَنِيْ" وهي غرف مستطيلة الشكل نسبيا، و تكون نوافذها هي الأخرى مطلة على صحن المسكن للتهوية و الإضـــاءة، وتســـتعمل هي الأخرى للجلوس و اجتماع أفراد العائلة ولعب الأطفال وممارسة بعض النشطات اليومية (الصناعات السعفية و الجلود و معالجة التمور...الخ) وأحيانا أخرى يستقبل فيها بعض الضيوف المقربين.

الصحن: أو وسط الدار أو "الرَّحْبَة" ويعرف أيضا بـ"الدَّكَانَة" يكتسي أهمية بالغة في المسكن، وهو فضاء مكشوف إلى الأعلى، وهو الرئة التي يتنفس منها المسكن فهو أكثر الأماكن تهوية وإنارة و منه تستمد باقي الوحدات المعمارية الداخلية الهواء و النور، وهو الحل الأمثل لمعالجة الظروف المناخية والبيئية التي تميز منطقة تيديكلت، كما تعمل أشعة الشمس التي تلازمه طول النهار على مكافحة الجراثيم والحشرات بالصحن وبالمرافق الأخرى للمسكن من خلال المداخل والنوافذ التي تطل عليه، كثيرا ما نجد بالصحن زخرفة بسيطة في شكلها عميقة في مدلولها فهي زخرفة ذات وجه جمالي وآخر وظيفي.

السلم: غالبا ما يكون في إحدى أركان الصحن وهو عبارة عن سلم يؤدي إلى سطح المسكن ويُبني دربوزه من الطوب يستعمل كحائل ومانع من السقوط.

الإيوان: هو عبارة عن مســـاحة مســـتطيلة ذات ثلاث جدران، واحد في الصـــدر واثنان جانبيان، أما الرابع فمفتوح الوجه، و يطل على المســـاحة الوســـطى بعقد أيا كان نوعه و أحيانا بهيئة مسـطحة وهو عبارة عن غرفة مسـقوفة محاطة بجدران من ثلاث جهات بينما تكون الجهة الرابعة في شـكل مدخل كبير معقود بقوس نصـف دائري و احيانا بدون عقد و يكون مفتوح على الصحن، ويصطلح عليه محليا بـ"أَسَكْلُوْ".

وقد تعددت الوظائف المنوطة بهذا الفضاء المستطيل الشكل، حيث فيه يتم الجلوس، وتوضع به قربة ماء الشرب، والدلو وكل ماله علاقة بالماء، و بعض أدوات العمل كالمعول وغيره

المرحاض و إسطبل الحيوانات الأليفة: نلج إليهما من الصحن غالبا وهما مساحة نصف مسقوفة و تكون هذه المساحة عادة في طرف المسكن جدارها الخلفي يطل على الشارع، و تنقسم إلى قسمين القسم الذي

يلي المدخل مباشرة يخصص لتربية الأغنام و الدجاج و يصطلح عليه محليا "رَحْبَة لَغْبَارْ" أو "الْمَنْصَبْ"، و القسم الآخر عبارة عن مرحاض لقضاء الحاجة ويسمى بـ"الْحَامُونْ" و يفصل بينهما جدار يُفتح به مدخل يؤدي إلى المرحاض الذي يصعد إليه بسلم صغير مكون من درجات يوصل إلى مساحة بها إثنان من جذوع النخيل يشكلان رمز(=) أنظر الصورة رقم 08.

الصورة(8):المرحاض. المصدر: عدسة ياسين

واللذان يتم وضع القدمين فوقهما أثناء قضاء الحاجة، و هو عبارة عن مرحاض بسيط في شكل حفرة يصل عمقها الى2م حيث تستغل هذه الحفرة كخزان للفضلات، لتسهل عملية تنظيف الفضلات التي تتراكم و يتم إخراجها خارج المسكن عن طريق فتحة تفتح في أسفل الجدار الخلفي تعد خصيصا لهذا الغرض ليستفاد من هذه الفضلات كسماد للزراعة في البساتين.

غرفة الضيوف: إن إكرام الضيف من صفات أهل الصحراء، لهذا لقيت بيوت الضيافة اهتماما خاصاً من صاحب المسكن، اذ تعد من ملحقات المسكن لأن بابها يفتح في الشارع و تعرف عن أهل المنطقة بـــ"سَوَارِيْ الضّيَافِيْن" أو "الْمَصْرِيَة"، فهي مخصصة لإستقبال

الضيوف وتعتبر من ملحقات المسكن، و هي ذات شكل مستطيل جدرانها ملبسة بالطين و ملساء و يستغل سمك الجدار بجعل كواة جدارية - لوضع أغراض مختلفة - ذات أشكال هندسية مختلفة، كما تزود هذه الغرفة احيانا بمخزن لوضع أغراض الضيوف.

إسطبل الحمار: يطلق عليها "دَوَيْرَة لَحْمَارْ" أو "مَرْبَطْ لَحْمَارْ" و هي الأخرى تعد من ملحقات المسكن، فهي عبارة عن إسطبل صغير يبنى خارج الهيكل العام للمسكن و يستقل عنه و هو مخصص للحمار الذي يعتمد عليه السكان في النقل و التنقل و العمل في اشغال البناء وفي البساتين .

2-4 العمارة المدنية :

هي تلك المباني التي أنشأها الإنسان للاحتماء من مختلف المؤثرات الطبيعية وغيرها في الأماكن التي وجد فيها ما يحتاج من أكل وشرب، وتمثلت في القصور التي تكونها مجموعة من البيوت والمساكن، بالإضافة إلى القصبات التي تستغل للاحتماء بها في حال الحروب والغا رات.

3-4 منزل مولاي عبد الله الرقاني أنموذجا:

يقع هذا المنزل في حي زاوية حينون تأسس على يد مولاي عبد الله بن الشيخ بن مولاي عبد الله الرقاني منتصف القرن السابع عشر ميلادي أي الحادي عشر الهجري يتربع على مساحة قدرها (14.30م16Xم) يحده من الشرق و الغرب والشمال شوارع ثانوية أما من الجنوب يحده منزل عائلي و بني بالمواد المحلية متمثلة في الطوب اليدوي المثلث و الطين و سقف بواسطة خشب النخيل و الكرناف و الليف(لفدام) يظهر من الخارج به ثلاث جدران جداره الشمالي طوله 16 م يظهر فيه آثار التسقيف و فوقه مدخل، أما جداره الغربي فبه المدخل الرسمي يحتوي على باب خشبي ذو مص ا رع واحد به ثمان خشبات مرتبة عموديا بحلقات حديدية دائرية في أوله و وسطه و آخره كل خشبة تحتوي على ثلاث حلقات يوجد به شريط حديدي في أوله و آخره يزيد من تماسك الباب و يفتح هذا الباب بطريقة آفكر بعد الولوج إلى الداخل تقابلك سقيفة أولى بها نقوش و رسوم تزين جدرانها ثلاثية و دائرية ومربعة و يفتح مدخل في جدارها الشرقي يؤدي إلى السقيفة الثانية والتي هي بنفس خصائص الأولى و منها إلى السقيفة الثالثة التي تطل على صحن المنزل والتي بجدارها الشرقي عقدان نصف دائريان تتوسطهما دعامة مربعة الشكل و بالجدار الشمالي سقيفة تحتوي على غرفتين يتقدمهما عقدان يطلان على الصحن بنفس خصائص السابقين يقابلهما جدار جنوبي به

غرفة بها مدخل و نافذة أما الجدار الشرقي يوجد بأعلاه شرفات تزينه كالتي توجد في القصبات و مدخل يؤدي إلى رحبة و في السقيفة المطلة على الصحن بها سلم يؤدي إلى سطح المنزل و الذي يحتوي بدوره غلى سقيفة و غرفة فتح مدخلها في الجدار الشمالي.

إلا أن المنزل يتعرض إلى الانهيار في بعض أجزائه كمدخل غرفة السقف الذي انفصل جزء من حائط الغرفة و وجود تشقق في بعض الجد ا رن و كذلك هشاشة السقف و يبدو أن المنزل قد تعرض لعملية ترميم عشوائية عدة مرات (مداب، صفحة 54)

صورة رقم9: نماذج المنزل في الفترة الإسلامية.

المصدر: عبد الغاني مداب.

يعود هذا المنزل إلى الفترة الإسلامية منتصف القرن السابع عشر ميلادي، تما بناء هذا المنزل من مواد محلية تتمثل في الطوب اليدوي المثلث، والطين، وخشب النخيل، والكرناف والليف(الفدام).

أما في ما يخص التقنية التي كانت يظلل بها سقف المنزل في الفترة الإسلامية فهي متعددة ومتنوعة تتمثل في:

ـ التثقيف بجريد النخيل مع خشب النخيل، الذي يستخدم كالأعمدة، يضاف لها العصي لتضييق الفراغات. أنظر الصورة رقم 9.

ـ التثقيف بالكرناف مع الخشب أيضا. أنظر الصورة رقم 10.

صورة رقم 10: التثقيف بتقنية الجريد.

صورة رقم 11: التثقيف بتقنية الكرناف.

حيث تتم عملية التثقيف بأن تمد جزوع النخيل داخل الكوات التي يتم حفرها في جهتي الجدار، فتوضع عدة جزوع على إمتداد مساحة الغرفة، بواسطة الطين، وتبلغ المسافة بين الأخشاب حوالي 25سم وبعد ذلك توضع قطع الكرناف بين كل جزع وآخر، بطرقة عكسية ويلي فوقها فرش غطاء من الليف (الفدام)، الذي يمنع من تسرب الطين، كما يلعب دور العازل الحراري، ويأتي بعده غطاء من الجريد وفي المرحلة الثانية يغطى الكل بطبقة على شكل عجينة تكون نسبة المياه فيها بكمية قليلة، وفي آخر المرحلة يوضع الجير الأبيض (سويسي، 2010/2009، الصفحات 159-165).

5- خلاصة عامة حول المسكن في الفترة الإسلامية:

إعتبر الاسلام البيت او المسكن من العمائر الأساسية للإنسان في هذا الوجود وتعد من النعم التي أنعمها الله على عباده في أرضه وذلك ليحس الناس بالأمن والأمان فيها حين يأوون إليها ويستترون بها من عوارض الطبيعة ومن شر خلق الله من البشر وسائر المخلوقات الحية التي تشاركه المعيشة في البيئة.

ولقد تعددت نوعية هذه البيوت وأشكالها ومادة بناءها وتصميمها حسب الزمان والمكان، فكان منها ما بني على السهول كبيوت الصوف والوبر وبيوت الجلد والحطب ومنها ما نحت

في الجبال فكانت منها الغور والكهوف ومنها ما بني من الطين والحجر فتشكل في تصميم الدور والقصور. (مزراق، 2018/2017، صفحة 110)

وتعتبر المنازل في المدن الاسلامية من أهم الم ا رفق الاجتماعية التي دأب المسلمون على العناية بها في وضع التصاميم وفي تنفيذ ذلك في شكل جزئية عناصرها المعمارية أو في شكل وحدتها المعمارية.

وكان المعماري المسلم يحرص كثيرا على توافق منتجاته المعمارية مع العوامل الطبيعية والعوامل المدنية الاخرى الاجتماعية والدينية والاقتصادية ولذلك ظهر تصميم المنازل في تاريخ العم ا رن الاسلامي متوافق مع دواعي المؤثرات الطبيعية وعوائد الناس، فكانت عمارة المنازل تراعى فيها حرمة الدار حيث صممت سقائفها بنوافذ متسعة تطل على فناء الدار بينما نوافذها التي تطل على الشارع فصممت صغيرة ومرتفعة لتحجب المارة على من بداخلها (محمد)، 1400ه/1980م، صفحة 35)

كما راعى المعماري أيضا نوع المواد الانشائية التي اختارها واستغلها في عمارة البيت والمنزل وسائر المباني في مختلف الاماكن والبلدان وتمّ ذلك تماشيا مع الظروف المناخية التي تتطلب ذلك.

وقد نلمس جانبا من هذا الاهتمام في المناطق الصح ا روية التي تتميز بمناخ حار وجاف مثلما هو شأن اقليم تيديكلت الشرقية حيث كانت المواد الانشائية التي استغلت في عمرانه هي مواد مختارة من البيئة المحلية، وكانت التربة الطينية بمختلف الوانها تلعب دو ا ر فعالا في عملية الإنشاء وأحد الحلول في تلطيف الجو مثلما كانت مراعاة تصاميم الوحدات المعمارية مهمة وهي تستجيب لدواعي الظروف والعوامل البيئية. (مزراق، 2018/2017، صفحة 96)

جاء تخطيط وتنفيذ المسكن التقليدي في الإقليم يضمن نوعًا من التهوية الطبيعية وذلك بالتقليل من الأبواب .فلكلّ منزلٍ بابا وحيداً لا أكثر، وهو باب المدخل الرئيسي للمسكن الذي يؤدي مباشرة إلى مجلس الضيوف من الرجال يُسمّى محليًا بسقيفة الباب **أو**" درب "وهي إشارة إلى موقعه كأقرب مكانٍ من باب الشارع، حتّى لا تقع عين الزائر على حرمة أهل الدار ، كما يؤدي الباب من خلال رواق يقطعه إلى مجلس للنساء ويسميه السكان بسقيفة الرحبة، وينتهي الرواق بانكسار يعرف باسم الركنة والتي هي سقيفة للنوم خاصة بأهل

الدار، وفي وسط هذا الرواق مدخلاً يغلق بباب يؤدي إلى سقيفة خصصت لجمل متاع الأسرة، ويقابله مدخلاً آخرا يؤدي إلى وسط الدار والذي هو عبارة عن صحن يسمى عند الناس بالرحبة، حيث تفتح فيه بقية مداخل الغرف أو السقائف التي تتوزع من حوله حسب المساحة التي تشغلها الدار، خصص بعضها لحفظ أدوات الفلاح والحطب وعلف المواشي وأخرى محبساً للحيوانات، وغيرها خصصت لخزن مئونة عيش الأسرة السنوي ويطلق عليها (الميشار)، و منها أيضا سقيفة للطبخ وللتدفئة، وبالصحن غالباً ما نجد فيه سلماً نصعد به إلى سطح المسكن، تمّ بناءه من الخشب والطوب إضافة الى الطين للتلحيم والتمتين، ويضمن السّلم الذي يؤدي الى سطح البيت وجود حيزا يقع تحته، استغل هذا الاخير في حفظ القرب وقلل الماء وبعض أواني الشرب لتبقى في الظل عن وهج وغيظ الشمس. (مزراق، 2018/2017، صفحة 99)

وجاءت المساكن عموما في إقليم تيديكلت مؤلفة من طابق وحيد وفريد و سطح به غرفة لها وظائف عديدة، وقدر ارتفاع المباني السكنية بمتوسط إجمالي بثلاثة أمتار ونصف، حيث كان في هذا الميدان العرف هو سيد الموقف على ضوء القاعدة الشرعية من الحديث النبوي الشريف(لا ضرر ولا ضرار)، فكانت بذلك وقاية لحرمة الجار مع جاره والاستفادة من الحق الطبيعي من الهواء والشمس، ومن الفضاء الخارجي للاستمتاع بفضاء السماء وزينتها.

أما ارتفاع السور الساتر بين دار الشخص ودار جاره، فقد قدر ارتفاعه حسب عرف الناس بقامة الرجل أي بمقدار 02 متر، وهو بذلك يعتبر حائل بين دارين وسترة لحرمة أهل البيت عن الغريب من الجار الجنب أولا ولغيره من الناس ثانياً، حيث يمكن بذلك لأهل البيت من الذكور والإناث، الجلوس والوقوف وأخذ أطراف الحديث مع بعضهم البعض وكذلك النوم فوق سطح دارهم وراء سترة الحائل دون أن يلحق الجار بجاره ضررا.

6- المسكن القديم ودوره في الترويج للسياحة:

يعتبر المسكن القديم أحد ركائز ومقومات السياحة، التي نرها اليوم تأسس بأنساق مختلفة ومتنوعة، فالسياحة تعتبر ظاهرة إنسانية مارسها الإنسان الأول منذ وجوده في هذه الحياة، وما نلاحظه اليوم من بناء مرافق سياحية يراعى فيها الشكل القديم لمسكن الإنسان كجانب أول، إضافة إلى الأشكال الهندسية والزخرفية والحليات التي لم يستغني عنها الإنسان الأول في مسكنه كالمسة من لمساته الفنية والإبداعية.

بل أكثر من ذلك ما نلاحظه وما نشاهده أن السواح سواءا داخليا أو خارجيا يحبون الأشياء البسيطة، والأشياء التي لها علاقة مباشرة في عكس صورة الماضي، فالدافع والمحفز القوي للترويج للسياحة لا بدا أن ينطلق من بناء قرى سياحية نموذجية لمسكن الإنسان الأول، إذا كنا نعول على النهوض بالسياحة كمورد من الموارد الاقتصادية، كما نشاهد أيضا عدة مساكن قديمة حولت لفنادق بعد إجراء تعديلات طفيفة عليها وهي الأن قبلة للسواح من خلال البساطة، فمثلا الأكل يكون مباشرة على الأرض من دون طاولات ولا كراسي، وأثاث الغرف متكون من الأشياء التي لها علاقة بالتراث المتعلق بمخلفات الإنسان الأول والطبيعة، فنجد الثقف من الخشب والكرناف والجريد والليف التي أشرنا لها سابقا، وهذه المواد الطبيعية لم يضعها الإنسان في السقف عبسا بل يكمل دورها في جعل الغرفة ذات تهوية جيدا وبرودة في فصل الصيف، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن المسكن القديم عبارة عن متحف كل زاوية فيه لها تفاصيل وأحداث، فهو له خصوصيات يمكننا أن نروج به للسياحة.

7- خاتمة-

سمحت دراسة المسكن كاتراث أثري من فترة ما قبل التاريخ إلى الفترة الإسلامية ودوره في السياحة، في إستخلاص عدة نتائج نلخصها في ما يلي:

- تحمل مشاهد المسكن في فترة ما قبل التاريخ إيحاءات إجتماعية قوية.
- كانت الملاجئ تشكل النموذج الأساسي في إيواء الشعوب الراعوية وقطعانهم، نظرا لحصانتها الطبيعية، ومواقعها الجغرافية.
- أن المباني في الفترتين التي تمت دراستها ظهرت بسيطة في عمارتها.
- تصميم المسكن راعى فيه المعماري المتمثل آنذاك في الإنسان الأول خصلتان، هما أن يكون حجمها وتخطيطها متناسبا مع الظروف الطبيعية والمناخية.
- الشكل الهندسي للعمارة ما هو إلا ترجمة مباشرة لثقافة تلك المجتمعات.
- إنطلاقا ن قول "آموس رابوبور" A. Rapopo إن البناء والتعمير لم يكن من إختصاص المهندس المعماري لكنه عبارة عن محيط مبرمج ومهيكل تقريبا عن طريق الثقافة الشعبية أو الفلوكلورية.

- لحظنا اعتناء المعماري بواجهات المسكن وتجميل مدخله، إذ جاءت أغلبها ذات طنف وبروز بملاط طيني أملس في شكل إطار ويدعى " الحاجب"، أحيانا يتم طلاؤه بالجير، وتارة أخرى يحمل خطوط عمودية أو يتوج بعقد نصف دائري يدخل في هيكلته.

- لاحظنا في الجدران الخارجية مظهرا جماليا و وظيفيا معا حينما زينت بأشكال مدببة تدعى " الشريف" وهي تصغير للشرفات، ما يعطي شكل مشط، بل حتى يحاكي مظهرا من المظاهر الطبيعية بالمنطقة، وهي تلك التموجات التي تظهر على الكثبان الرملية جراء هبوب الرياح.

- ادمج المعماري بمساكن تيدكلت الشرقية الشكل والوظيفة في زخارفه التي نفذها، مع بقاء اللون الطبيعي(ترابي) للمادة الإنشائية في الكثير من الأحيان.

- لاحظنا لجوء المعماري التيديكلتي إلى بناء الدعامات لدعم الجدار من جهة و كلمسة جمالية من ناحية أخرى نظرا لسهولة انجازها، وتتخد أشكالا عدة و هي عبارة عن كتلة واحدة مبنية من عناصر إنشائية مختلفة تدعم حائطا حيث تقام أساسا لسند الجدران و تقويتها، و قد استعملت الدعامات بصفة واسعة في الجدران الخارجية بأشكال هندسية بديعة، وتسمى محليا بـ"أتْيبَاقْ".

- إستخدام ما يعرف أو يسمى بمصطلح العقود: تسمى "لقْواسْ"، و هي مشتقة من العربية، تستعمل لحمل السقوف وسط الدار الواسعة على الخصوص و داخل الغرف التي تتميز بالاستطالة.

- ما نلحظه في المساكن التيديكلتية غياب عنصر القبة الذي له جانب وظيفي بالإضافة إلى الوجه الجمالي... ربما هذا راجع إلى البيئة و الطبيعة المحلية و الجو السائد هناك و قد يكون لسبب عدم امتلاك التقنية فلم يبذل المعماري المحلي جهدا في بناء القباب لتكلفتها العالية.

قائمة المصادر والمراجع:

المراجع بالغة العربية:

الحاج أحمد (الصديق). (2003). *التاريخ الثقافي لإقليم توات من القرن 11 إلى القرن 14 هجري* (المجلد الأولى).

القرآن الكريم. (بلا تاريخ). سورة النحل.

القرآن الكريم. (بلا تاريخ). سورة النحل.

أوبراهم جوهر. (د.س). المسكن من خلال الرسومات الصخرية بالطاسلي آزجر. *مجلة آثار*، صفحة 08.

أبو عبيد (نظير)، «المشهد المكاني كمفهوم سلوك بيئي في تحليل التواصل ما بين العمارة و المجتمع»، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ع: 248، لبنان، سنة 1999، ص148.

حوتيه(محمد الصالح)،توات والأزواد،دار الكتاب العربي،الجزائر،ج1،ص 412.

ذياب البدانية. (2012). *التوثيق العلمي دليل النشر العلمي*. عمان الاردن: دار المناهج للنشر والتوزيع.

سيدي محمد إيباه. (2022/2021). دلالات التنوع الثقافي والحيواني من خلال الفن الصخري بالتاسيلي ناميدير(الصحراء الوسطى الجزائرية). 689-691. الجزائر: جامعة الجزائر 2.

عبد الغاني مداب. (بلا تاريخ). أطلس العمران الإسلامي بتيديكلت الغربية بولاية أدرار. *2019/2018*.

محمد السيد غلاب. (1975). *الجغرافيا التاريخية عصر ما قبل التاريخ* (المجلد 2). القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

محمد السيد غلاب ويسري الجوهري. (1975). *الجغرافية التاريخية عصر ما قبل التاريخ وفجره* (المجلد 2). القاهرة المصرية: مكتبة الأنجلو المصرية.

محمد السيد غلاب، و يسري الجوهري. (1975). *الجغرافيا التاريخية عصر ما قبل التاريخ* (المجلد 2). القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

محمد بن سويسي. (2010/2009). العمارة الدينية الإسلامية بمنطقة توات. معهد الآثار الجزائر.

بلعالم(محمد باي)، الرحلة العلية إلى منطقة توات، دار هومة، الجزائر، 2005، ج2، ص283.

محمد سحنوني. (1999). *ما قبل التاريخ*. الجزائر: ديوان المطبوعات الجزائرية.

محمد سحنوني. (1999). *ما قبل التاريخ*. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

محمد سويدي. (1986). *بدو الطوارق بين الثبات والتغير*. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.

محمد مزراق. (2018/2017). العوامل البيئية و أثرها على العمارة والعمران بمنطقة تيديكلت الشرقية بولاية تمنراست دراسة أثرية. معهد الآثار الجزائر.

محمود وصفي (محمد). (1400هـ/1980م). *دراسات في الفنون والعمارة الإسلامية القاهرة*. دار الثقافة.

مطروح أم الخير. (2017). الآثار والمعالم من خلال المصادر الإسلامية. *مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والإجتماعية*، الصفحات 27-370.

مطروح أم الخير. (2017). الآثار والمعالم من خلال المصادر الإسلامية. *مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والإجتماعية*، الصفحات 27-43.

نادية يفصح. (2018). الفن الصخري في الصحراء الكبرى وأه المواضيع التي تناولها. *مجلة تاريخ المغرب العربي*، الصفحات 81-100.

المراجع بالغة الفرنسية:

G, A. (1994). *l'habitat préhistorique au Sahara.*

G, A. (1994, 2003). *l'habitat préhistorique au Sahara.*

G, C. (1969). *Amekni néolithique ancien du Hoggar* (éd. N°10). Alger: C.R.A.P.E.